مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الرواسب الاستعمارية: دراسة في منازع القصيدة العربية المعاصرة

الباحث/ أحمد سعد جاد حسين

معيد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2022.116951.1352

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٦) يوليو ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الرواسب الاستعمارية: دراسة في منازع القصيدة العربية المعاصرة

الملخص:

خلّف الاستعمار الغربي آثارًا دمّرت جوانب كثيرة في حياة المستعمَرين العرب؛ منها ما كان في السياسة، والمجتمع، والاقتصاد... وغيرها من الجوانب التي يرتكز بناء الحضارات عليها، ولا يمكن أن نغفل عما سببه من آثار نفسية، كاد أن يتحطّم معها الإنسان العربي؛ لما فيها من سلب للحريات، وإجباره على أمور لا يريدها، لذا تطالعنا القصيدة العربية المعاصرة بهذا كله، فهي بمثابة تأريخ لهذه الحقبة التاريخية والأدبية المشوشتين، ورصد لما كان يعانيه الشاعر العربي المعاصر؛ من توتر في مشاعره، وحزن دفين؛ ولّد لديه غموضًا ملحوظًا، ونظرة سوداوية للحياة غير مسبوقة في الشعر العربي، ومن خلال دراستنا للقصيدة العربية المعاصرة وجدنا شواهد كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن هذه الظواهر منها ما هو مأخوذ عن أدباء ومفكرين وشعراء غربيين، أو نتيجة لضغوطات الحياة المُستعمَرة؛ لذا كل هذه الظواهر النفسية أصّلها الغرب عند الشعراء العرب: سواء بما خلفه من ضغوطات عليهم، أو بما صدّره من فكر غربي لهم بهدف استعمارهم؛ لذا جاء مضمون القصيدة العربية المعاصرة مشحونًا بتلك الآثار النفسية التي باتت بدورها تتملّك موضوعات الشعر بشكل ملحوظ، وسمة تكاد تكون إلزامية لكل شاعر معاصر؛ فالحزن، والتردد، والخوف، والإسقاط، والغموض، والنظرة السوداوية؛ كلها سمات لم يسلم منها شاعر عربي معاصر.

الكلمات المفتاحية :الاستعمار، القصيدة العربية المعاصرة، المجتمع العربي.

توطئة

مـاتزال الرغبـة الإنسـانية فـي السـيطرة علـى عقـول الآخـرين، ومعرفـة مـا يفكـرون فيـه، والأمـور التـي لابـد وأن يفكـروا بهـا هـي الرغبـة الأسـمىٰ والهـدف المـراد، وقـد شـهد العصـر الحـديث والمعاصـر سـيطرة عُظمـىٰ لأوروبـا علـى النـواحي السياسـية والاجتماعيـة والاقتصـادية والفكريـة والثقافيـة خاصـةً بعـدما مكنـتهم قـوتهم مـن غـزو الـبلاد واحتلالهـا باسـم الاسـتعمار؛ الـذي اسـتمالوا بـه الشـعوب؛ فكـان أكبـر خدعـة لهـم، وتعـد فتـرة الاحـتلال الغربـي علـى الـوطن العربـي فتـرة فارقـة فـي تـاريخ الثقافـة العربيـة؛ حيـث إن الثقافـة العربيـة اتخـذت مسـارًا جديـدًا انسـاقت فيـه وراء الثقافـة الغربيـة بعـدما روّض الغـرب عقـول أهلهـا واسـتمالهم إليـه وزرع فـيهم نسـقًا اسـتعماريًّا جديـدًا، حتـى " أعـاد الاسـتعمار تشـكيل البنـى القائمـة للمعرفـة الإنسـانية، فلـم يبـقَ فـرع مـن فـروع العلـم لـم تمسـه التجربـة الاسـتعمارية، فكانـت العمليـة شـبيهة بعـض الشـيء بعمـل الأيـديولوجيا نفسـها، فهـي فـي آن واحـد إسـاءة تمثيـل الواقـع وإعـادة ترتيـب لـه "[1]، وإن دارس الأدب العربـي المعاصـر لا يمكـن أن يغفـل عـن هـذه الحقبـة التاريخيـة ودورهـا فـي تغذيـة الأعمـال الأدبيـة، فتحليـل النصـوص يحتـاج إلـى دراسـة متأنيـة فـي مُجتمـع الأديـب، وبيئتـه المحيطـة، والظـروف التـي يمـر بهـا عصـره، وهـذه النقطـة هـي المصباح الأول نحو تفسير النصوص وتحليلها.

[1] **آنيا لوميا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، ترجمة محمد عبدالغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٦٧**

خلّف الاستعمار الغربي آثارًا دمّرت جوانب كثيرة في حياة المستعمَرين العرب؛ منها ما كان في السياسة، والمجتمع، والاقتصاد... وغيرها من الجوانب التي يرتكز بناء الحضارات عليها، ولا يمكن أن نغفل عما سببه الاستعمار من آثار نفسية، كاد أن يتحطّم معها الإنسان العربي؛ لما فيها من سلب للحريات، وإجباره على أمور لا يريدها، من هنا تطالعنا القصيدة العربية المعاصرة بهذا كله، فهي بمثابة تأريخ لهذه الحقبة التاريخية والأدبية المشوشتين، ورصد لما كان يعانيه الشاعر العربي المعاصر؛ من توتر في مشاعره، وحزن دفين؛ ولّد لديه غموضًا ملحوظًا، ونظرة سوداوية للحياة غير مسبوقة في الشعر العربي؛ لذا جاء مضمون القصيدة العربية المعاصرة مشحونًا بتلك الآثار النفسية التي باتت بدورها تتملّك موضوعات الشعر بشكل ملحوظ، وسمة تكاد تكون إلزامية لكل شاعر معاصر؛ فالحزن، والتردد، والخوف، والإسقاط، والغموض، والنظرة السوداوية؛ كلها سمات لم يسلم منها شاعر عربي معاصر، من هنا جاء هذا الطرح الذي تضطلع به هذه الدراسة وهو (الاستعمار وأثره النفسي على المجتمع العربي المعاصر دراسة في القصيدة العربية المعاصرة) بهدف الكشف عن الآثار النفسية التي سببها الاستعمار الغربي على الإنسان العربي.

مشكلة الدراسة:

شيوع طابع الحزن والتشاؤم والنظرة السوداوية للحياة على الشاعر العربي المعاصر، وسيطرة هذه الظواهر على مضمون القصيدة العربية المعاصرة، **من هنا جاءت أسئلة الدراسة**

١- كيف أثر الاستعمار على الإنسان العربي نفسيًّا؟

٢- هل كان للشعر العربي المعاصر دور في إظهار حالة المجتمع العربي تجاه المجتمع الغربي المستعمِر؟

٣- كيف كان وقع الاستعمار على الشاعر العربي المعاصر؟

منهج الدراسة:

لقد اتخذ الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي؛ لما يُضفيه على الدراسة من تحليل ووصف للظواهر النفسية داخل مضمون القصيدة العربية المعاصر.

*** الانقياد إلى المستعمِر:**

أصبح الانقياد للغرب هو أسلوب حياة للمجتمع العربي، من هنا اقترب الشاعر العربي المعاصر بعاطفته إلى الشاعر الأوروبي أكثر بكثير من قربه إلى سابقيه من الشعراء العرب، فانقياد المجتمع صحبه انقياد في الأدب كذلك، فهذا أدونيس يقول: " أنا شخصيًا أجد نفسي أقرب إلى نيتشه وهيدجر، إلى رامبو وبودلير، إلى جوته وريكله مني إلى كثير من الكتاب والشعراء والمفكرين العرب "[٢]، حتى إن كثيرًا من الشعراء العرب المعاصرين انقاد وراء وجهات النظر النقدية الغربية، فحينما تعرضت نازك الملائكة لقصيدتها (مأساة الحياة) بالنقد وجدت فيها من الضعف والركاكة ما لا يتناسب مع أسلوبها الجديد، وأرادت أن تضفي عليها طابعًا تفاؤليًا، بديلًا عن النزعة التشاؤمية التي عمَّت القصيدة، نجد الشاعرة تبرر لهذه التعديلات بتعديلات الشاعر الإنجليزي (كيتس) لقصيدته (هايبر ليون) التي تناول فيها سقوط الآلهة الأوائل اليونان، وحلت مكانها أسرة (جوبيتير)...، وبعدما نشرها بزمن شعر كيتس

[٢] **انظر. محمد العربي فلاح، أدونيس تحت المجهر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر ٢٠٠٨، ص١٠٦**

أن قصيدته لم تعد تمثل أسلوبه، فعاد ونظم منها نسخة ثانية وسماها (سقوط هايبريون the fall of hyperion)...[٣]

هكذا انقادت نازك لكيتس في تعديلاته لقصيدته، ورأت أن التعديل ليس عيبًا، وإنما هو خاصية كبار الأدباء، فقد سبقها الشاعر الإنجليزي كيتس، ونلاحظ هنا أن الشاعرة بلغ حد انقيادها لأدباء الغرب أن خاصية تعديل القصائد لم تختر مثلًا مدرسة عبيد الشعر في العصر الجاهلي؛ التي كان أصحابها ينقحون قصائدهم مرارًا وتكرارًا حتى يُخرجوها إلى الجمهور، وغيرهم كثير، وإنما عمدت إلى الشاعر الإنجليزي كيتس واتخذته مثلا، وهذا وإن دل فإنه يدل على الانقياد الشديد للثقافة الغربية.

هكذا أصبح الشاعر العربي المعاصر ينقاد وراء كل ما هو غربي من نظريات نقدية، ومذاهب أدبية، وأصبح الشعور بالانقياد للغرب سمة العصر، وهذا الشعور زرع في المجتمع العربي نوعًا من الإحباط والحزن والتشاؤم والألم لما يراه من سواد وظلمه لا يعرف منتهاها.

***الحزن:**

إن ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر ظاهرة ملموسة بشدة، فعلى الرغم من كون الشعور بالحزن شعور قديم، ينشأ مع ضغوطات الحياة وقسوتها، وقهر دفين، فهي ظاهرة موجودة في الشعر العربي في عصوره الأدبية المختلفة، غير أنها لم تكن الظاهرة البارزة، ولم تأخذ حجمًا كبيرًا كما نشهده في الشعر المعاصر، فما خلفه الاستعمار الغربي في نفوس العرب؛ من

[٣] **انظر. نازك الملائكة، الأعمال الكاملة، المجلد الأول، دار العودة بيروت ١٩٩٧، ص١٢: ١٤**

قتله ثقافة العرب الموروثة، وإرساء ثقافة جديدة من صنع الغرب؛ جديرة بأن يرتفع مؤشر الحزن في الشعر العربي المعاصر بشكل ملحوظ، حتى أصبح – على حد قول صلاح عبدالصبور – " يفترش الطريق "، فالحزن الذي نشهده في الشعر العربي المعاصر لم يأتِ صدفة، بل هو الصورة التي طبعها الغرب الاستعماري في نفس الشاعر العربي، فحينما نأتي لنموذج يكشف لنا هذه الظاهرة في الشعر العربي المعاصر، نجد صلاح عبدالصبور يطالعنا بقصيدة " الحزن " يجسد فيها الحزن الذي افترش الطرقات، وسيطرت قواه على كل شيء يقول:

" يا صاحبي، إنّي حزين

طلع الصباحُ، ولم يُنزْ وجهي الصباح

وخرجتُ من جوفِ المدينةِ أطلب الرزق المتاح

وغمستُ في ماء القناعة خبز أيامي الكفاف

ورجعت بعد الظهر في جيبي قروشْ

فشربت شايًا في في الطريق

ورَتَقْتُ نعلي

ولعبت بالنَّرد الموزّع بين كفي والصديق

قل ساعةً أو ساعتين

قل عشرة أو عشرتين

وضحكت من أسطورةٍ حمقاءَ ردَّدها الصديق

ودموع شحّاذٍ صفيق "[٤]

[٤] صلاح عبدالصبور، الأعمال الكاملة ، دار العودة، بيروت، لبنان، ص ٣٦: ٣٧

لقد سيطر الحزن على الشاعر منذ العتبة الأولى لنصه، فعنوان قصيدته " الحزن " جاء في كلمة واحدة معرفة، وكأن الحزن أصبح أمرًا مألوفًا لدى كل الناس، فهو ليس بأمر غريب، وجاء العنوان مبتدأً، خبره النص ذاته، فالعوان يجعل المتلقي مترقب لما هو آت، فلا يدعنا الشاعر حتى يخبرنا بأنه حزن معقد، يصيب الحياة بالملل السئيم، وعلى الرغم من طلوع الصباح إلا إن الحزن لازال مسيطرًا عليه، حتى أن خروجه لطلب رزقه لم يكن يسعده فكل شيء تساوى لديه، فهو لم يَعُد يشعر بسعادة فيما يفعله من روتين يومي، لا شيء يدعو للسرور، ويزداد الحزن حينما يأتي المساء فيقول:

" وأتى المساء ..

فى غرفتى دلف المساء

والحزن يولد فى المساء

لأنه حزن ضرير "

وكأن ميلاد الحزن في المساء، وليس الحزن الذي يعنيه الشاعر حزن عادي، بل هو حزن ضرير يصيب الناس بلا وعي، فهو حزن أعمى ويستمر في وصفه لحزنه فيقول:

" حزن طويل كالطريق من الجحيم إلى الجحيم

حزن صموتْ

والصمت لا يعني الرضاء بأن أمنية تموتْ

وبأن أيامًا تفوت

وبأن مرفقنا وَهنْ

وبأنّ ريحًا من عفنْ

مسَّ الحياة، فأصبحت وجميع ما فيها مقيت

حزنٌ تمدد في المدينهْ

كاللصّ في جوف السكينهْ

كالأفعوان بلا فحيحْ "

لقد طال حزنه حتى كان من الجحيم إلى الجحيم، فهو بذلك صاحب نظرة سوداوية، فلا يرى بعد الحزن إلا الحزن، حزن صامت يصيب هدفه في صمت تموت معه الأمنيات، فالمدينة كلها تمددت بحزن شديد، وهنا توقفنا لمحة أسلوبية؛ وهي تحويل صوت التاء المربوطة إلى هاء مربوطة ساكنة، فالشاعر يشعرك بتنهداته وهو يركض سريعًا ليتخلص من حزنه، غير أن الحزن يلحقه ولا يتركه.

ويتابع الشاعر وصف الحزن قائلًا:

" الحزنُ قد قهرَ القلاعَ جميعَها وسبَى الكنوز

وأقامَ حكمًا للطغاهْ

الحزن قد سَمَل العيونْ

الحزنُ قد عقدَ الجباهْ

ليُقيمَ حُكمًا للطغاهْ "

يا لهو من حزن قد حطّم كل شيء جميل، ولم يبقِ على أي لذة، فقد سرق السعادة من عيون الناس بعدما أغمضها ليقيم حكمًا للطغاة المتجبرين.

ويتابع قائلًا:

" يا تَعْسَها من كِلْمة قد قالها يوماً صديق

مغرى بتزويق الكلام:

«سنعيش رغم الحزن، نقهره، ونضع في الصباح

أفراحنا البيضاء، افراح الذين لهم صباح»..

ورنا إليَّ...

ولم تكن بشراه مما قد يصدقه الحزينْ

يا صاحبي!

زوِّق حديثك، كل شيء قد خلا من كل ذوق

أما أنا، فلقد عرفت نهاية الحدر العميق

الحزن يفترش الطريق..."

وعلى الرغم من أن صديقًا له ينظر للحياة بعين التفاؤل، إلا إنه لم يأبه لكلامه، فكلماته وإن بدت سعيدة إلا إنها زادت الحزن تعاسة...

لاشكّ أن الظروف القهرية التي خلفها الاستعمار الغربي كان لها الدور الأكبر فيما يعانيه الشاعر العربي من حزن، فهذه القصيدة التي تسيطر عليها نبرة الحزن من بداية النص، حتى نهايته، بل يزداد مؤشر الحزن كلما تعمق في قصيدته، حتى يتفاقم ويتحول ليأس ونظرة سوداوية للحياة في نهاية القصيدة. هكذا مضى الحزن في القصيدة العربية المعاصرة ظاهرة مهمة، وأثر نفسي واضح من آثار الاستعمار على الشاعر العربي المعاصر؛ وكان نتيجته أن وجدنا نظرتين: الأولى سوداوية، والأخرى تشاؤمية.

*** النظرة السوداوية:**

لم يقف حزن الشاعر المعاصر عند حد الحزن فقط، بل تخطاه لنراه ينظر للأشياء من حوله نظرة سوداوية، ولعله أراد بذلك أن يواكب التيار الغربي الذي كانت لديه نظرة سوداوية للحياة، كنظرة الكاتب والأديب النمساوي (فرانز كافكا)، فحينما تقرأ الشعر العربي المعاصر تجد في معظمه نظرة

سـوداوية للحيـاة، فصـلاح عبدالصـبور فـي معظـم قصـائده نجـده حـاملًا لـواء السوداوية، يقول في قصيدته " أغنية للشتاء ":

" ينبئني شتاء هذا العام

أنني أموت وحدي

ذاتَ شتاء مثله، ذات شتاء

يُنبئني هذا المساء أنني أموت وحدي

ذات مساء مثله، ذات مساء

وأن أعوامي التي مضت كانت هباء

و أنني أقيم في العراء

ينبئني شتاء هذا العام أن داخلي

مرتجف بردا

و أن قلبي ميت منذ الخريف

قد ذوى حين ذوت

أولُ أوراق الشجر

ثم هوى حين هوت

أول قطرة من المطر

وأن كل ليلة باردة تزيده بُعدا

في باطن الحجر

وأن دفء الصيف إن أتى ليوقظه

فلن يمد من خلال الثلج أذرعه

حاملة وردا"[٥]

[٥] صلاح عبدالصبور، الأعمال الكاملة، ص ١٩٣: ١٩٤

فالشاعر يائس منذ الوهلة الأولى، فقد أنبأه الشتاء أنه سيموت وحيدًا، وأن الأعوام التي مضت من عمره كانت هباء، فلا فائدة في كل شيء، فداخله المرتجف بردًا، وقلبه الذي مات منذ الخريف، وإن أتى الصيف بدفئه فلن يعيد إليه الحياة مرة أخرى، فالنظرة السوداوية حاضرة بشدة في هذه القصيدة، والطابع السوداوي نلحظه عند صلاح عبدالصبور في كثير من قصائده، لذا تقول (د. سعاد درير) معلقة على قصيدة صلاح عبدالصبور (مرثية رجل تافه) :" وأنت تعاين مرثية صلاح عبدالصبور، لاشكّ في أنك ستلمس عن كثب تجليات التيار السوداوي، والسوداوية هذه لا يختلف اثنان في أنها تمثلت بقوة على هامش قصيدته (مرثية رجل تافه) متأثر بالتيار السوداوي عند الأديب النمساوي (كافكا) "[٦]

مضى كثير من الشعراء الذين حملت قصائدهم طابعًا سوداويًا وآخر تشاؤميًا، فهي مزيج من سوداوية كافكا، وتشاؤمية شوبنهاور، مثل قصائد نازك الملائكة (الكوليرا، السفر، مرثية غريق، على حافة الهوّة، سياط وأصداء، قلب ميت، أشواق وأحزان) كل هذه القصائد نطالعاها في أعمالها الكاملة[٧]

*** النظرة التشاؤمية:**

مثلت هذه النظرة الشاعرة العراقية (نازك الملائكة) في كثير من قصائدها، حينما أشارت إلى ذلك التشاؤم في تعليقها على قصيدتها (مأساة الحياة) :" سرعان ما بدأت قصيدتي وسميتها (مأساة الحياة) وهو عنوان

[٦] **د. سعاد درير، اللاحياة واللاموت، مجلة الوطن، ١٩ – ٥ – ٢٠١٨**

[٧] **انظر. نازك الملائكة، الأعمال الكاملة**

يدل على تشاؤمي المطلق، وشعوري بأن الحياة كلها ألم، وإبهام وتعقيد، وقد اتخذت القصيدة شعارًا يكشف عن فلسفتي فيها؛ هو هذه الكلمات للفيلسوف الألماني المتشائم (شوبنهاور): { لماذا نرفع الستار عن حياة جديدة كلما أسدل على هزيمة وموت... } والواقع أن تشاؤمي فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه"[٨]

ولم تكن مأساة الحياة القصيدة الوحيدة التي حملت هذا الطابع التشاؤمي، بل هناك الكثير من القصائد مثل (يوتوبيا الضائعة – السفينة التائهة – شظايا ورماد – فكي الموت – صوت التشاؤم)

لقد أصبح الشعراء العرب المعاصرون – خصوصا الذين قامت على أيدهم القصيدة الجديدة – متأثرين بالحركات الغربية من: فلسفة، وفكر أدبي في الكتابة الشعرية، وما عاصره الشاعر من ضغوطات، وقهر، وغياب الحرية: حرية الفكر، وحرية الحياة في ظل سيطرت الاستعمار الغربي على ذمام الأمور؛ لذا جاءت القصيدة العربية صورة صادقة لهذه الآثار، فالتشاؤم نتيجة حتمية لهذا كله، فصلاح عبدالصبور في قصيدة (شنق زهران) يطالعنا بهذه القصيدة ويعالج فيها قضية الاستعمار الغربي وما خلفه في نفوس الناس، فالمجتمع العربي الذي كان آمنًا يعيش أهله وهم يتمتعون بما فيه من خير ونعيم، إلى أن جاء المُغتصب المحتل وقضى على كل هذا حتى ولد في نفوس الناس قهرًا واستسلامًا ونظرة تشاؤمية للحياة، يقول صلاح عبدالصبورمُتخذًا من زهران رمزًا للتضحية والبطولة الشعبية:

ذات يوم...

مر زهران بظهر السوق يومًا

---

[٨] **نازك الملائكة، الأعمال الكاملة المجلد الثاني، ومقدمة ديوان شظايا ورماد ص٦: ٧**

ورأى النار التي تحرق حقلا

ورأى النار التي تصرع طفلا

كان زهران صديقًا للحياةْ

ورأى النيران تجتاح الحياةْ

مدّ زهران إلى الأنجم كفًّا

ودعا يسأل لطفا

ربما ... سورة حقد في الدماء

ربما استعدى على النار السماءْ

وُضِع النطع على السكة والغيلان جاءوا

وأتى السياف مسرور وأعداء الحياةْ

صنعوا الموت لأحباب الحياةْ

وتدلىٰ رأسُ زهران الوديعْ

قريتي من يومها لم تأتدم إلا الدموعْ

قريتي من يومها تأوى إلى الركن الصديعْ

قريتي من يومها تخشى الحياةْ

كان زهران صديقًا للحياةْ

مات زهران وعيناه حياةْ

فلماذا قريتي تخشىٰ الحياةْ"[٩]

[٩] صلاح عبدالصبور، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٢، ص ١٨: ٢٢

*** التردد:**

هنا أريد التلميح لظاهرة خطيرة أصيب الشعراء المعاصرون بها، وهي ظاهرة التردد، فلقد أورث الغرب في نفوس العرب الخوف من المستقبل، وأورثهم نظرة سوداوية، وتشاؤمية للحياة، فحتمًا سيصاب المرء بالتردد؛ فالتردد عادة ما يكون ناتجًا عن خوف في اتخاذ القرارات، وعدم الثقة في النفس، وكانت القصيدة العربية المعاصرة ترجمة لتلك الظواهر النفسية التي كان يعانيها الشاعر العربي المعاصر، ويطالعنا السياب في قصيدة (رحل النهار) التي يتخذ الشاعر من الأسطورة موضوعًا له، يتلبس بأسطورة السندباد ممزوجة بالأسطورة اليونانية (إديسيوس وزوجته بنيلوب)، حيث نجد الشاعر قد تلبّس في (بنيلوب) وأظهر هذا التردد الذي يعانيه في داخله، حينما أخذت تتساءل عن عودة السندباد، وهي يجتاحها تردد شديد، وحالة بين اليأس والأمل، يقول السياب:

" سيعود، لا غرق السفين من المحيط إلى القرارْ

سيعود، لا حجزته صارخة العواصف في إسارْ

يا سندباد أما تعودْ ؟ "

هكذا يمضي ترددها، فلا تدري أتظل تنتظره، أم تستسلم للأمر الواقع وتعود وتنساه، وكأنها أصبحت شخصين: أولهما يقول لها: اصبري وانتظريه سيعود، والآخر يصدمها بأنها لن يعود، حتى يتملكها اليأس في نهاية المطاف، يقول:

" رحل النهار

و البحر متسع و خاو لا غناء سوى الهدير

وما يبين سوى شراع رنحته العاصفات و ما يطير

إلا فؤادك فوق سطح الماء يخفق في انتظار

رحل النهار"[١٠]

لم يقف تردد السياب عند هذا الحد بل يتملّكه وهو يكتب قصيدته، فنجده يقول في قصيدة (القصيدة والعنقاء):

" جنازتي في الغرفة الجديدهْ

تهتف بي أن أكتب القصيدهْ

فأكتبُ

ما في دمي وأشطبُ

حتى تلين الفكرة العنيدهْ "[١١]

*** الحرمان:**

لقد كان الخوف الذي زرعه الغرب الاستعماري وحشًا كاسرًا تملك الشاعر العربي المعاصر حتى حرمه من أمور كثيرة، فهو يتمنى، لكنه لا يستطيع تحقيق أمنياته، ويقول ما ليس بوسعه فعله، فالسياب في قصيدة (النهر والموت) يجسد لنا الحرمان، فهو يريد أن يفعل غير أنه لا يستطيع، فيقول:

"إليك يا بويبْ

يا نهري الحزين كالمطر

أودّ لو عدتُ في الظلام

---

[١٠] انظر.السياب، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني ، دار العودة بيروت، ٢٠١٦. ، ص٢٨٨: ٢٩٠

[١١] السياب، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، ص٣٤١

أشُدُّ قبضتيَّ تحملان شوقَ عام

في كل أصبع كأني أحمل النذور "[١٢]

فالقصيدة تنبيك عن الحرمان الشديد الذي كان يعانيه الإنسان في ذلك الوقت، فهو يريد، غير أن إرادته ضعيفة، ومنه الحرمان العاطفي الذي كان يعانيه الشعراء العرب، خاصة السياب في مجموعة كبيرة من شعره، فالحرمان يتولد عنه الإسقاط، فالإسقاط الذي يوقعه الإنسان على غيره عادة ما يكون ناتجًا عن حرمان شديد... هكذا مضى الشعراء العرب المعاصرون على أصناف كثيرة منهم من كان حزينا في شعره، ومنهم من حمل طابعا سوداويا، ومنهم من حمل الطابع التشاؤمي، وآخر جنح بخياله بعيدًا، وترك الواقع إلى رحلة في اللاواقع، ومنهم رأى في المستقبل شبحًا، أورثه خوفًا شديدًا، وترددًا، ومن ثَمَّ حُرِمَ من أشياء كثيرة؛ لذا وجدنا ظاهرة عجيبة، وهي ظاهرة التضامن مع أدب المستعمر، والدفاع عنه؛ فالقصيدة الجديدة ما هي إلا لون من ألوان التضامن الذي نقصده.

*** التضامن مع أدب المستعمِر:**

لم يكن غريبًا أن يتأثر الشاعر العربي المعاصر نفسيًا بمجريات الأمور، خاصة وأن الشاعر بطبيعته أكثر الناس إحساسًا بالأشياء من حوله؛ فإحساسه بالخوف، والحزن، واليأس، والتردد، والحرمان، والتشاؤم، كلها أمور تنشأ مع إحساس الإنسان بضغطات الحياة، وهذه وجدناها حاضرة عند الشاعر العربي المعاصر – كما تقدم – نتيجة للاحتلال الغربي، وما سببه من آثر

[١٢] **المرجع السابق، نفسه، ص١٠٥: ١٠٧**

نفسية عليه، غير أن الأمر اللافت هو تعاطف الشاعر العربي المعاصر مع ثقافة المستعمِر الغربي؛ ذلك الذي سلبهم هويتهم، وقضى على أوصال القصيدة العربية، فقضية الحداثة في الشعر وتبني فكرتها من جانب أدونيس، وقضية الشعر الحر على غرار الشعر الحر الأوروبي، وقصيدة النثر، وأفكار المدارس الغربية، والنظريات الفلسفية والفكرية الغربيتين، كلها قضايا يبدو فيها التعاطف مع ثقافة المستعمِر، فهي أشبه ما يكون بمتلازمة (ستوكهولم) التي تعاطف فيها الضحايا مع المعتدين، بل ودافعوا عنهم دفاعًا شديدًا [١٣]

هكذا فعل الشعراء العرب المعاصرون حول قضيتهم من تحرير الشعري العربي، وتبني الأفكار الغربية، دافعوا عنها دفاعًا شديدًا، وظهر تعاطف من نوع آخر؛ وهو تعاطف شاعر عربي بشاعر غربي، فالسياب نجده يتعاطف مع الشاعر البريطاني (لوي مكنيس) فما إن سمع بنعيه في الجرائد، يحزن عليه حزنًا شديدًا، وينعيه بقصيدته حمل عنوانها اسم (لوي مكنيس) يقول:

" أتى نعيه اليوم، جاب الديارْ

وجاب المحيطات حتى أتاني

فلم تجرِ بالأدمع الملقتان

فقد غلغلتْ من دمي في القرار

..... "[١٤]

[١٣] انظر. ماري د. جونز، ولاري فلاكسمان، حروب العقل تاريخ سيطرت الحكومات والإعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وإدارة شئون الناس، ترجمة نور الدائم بابكر أحمد، شركة العبيكان للتعليم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ٢٠١٧، ص١١٤: ١١٥

[١٤] السياب، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، ص٤٢٢

لقد كان السياب محبًا للشعراء الأوروبيين، والأسطورة الغربية، وكان يبدو أكثر تعاطفًا مع الأدب الأوربي، بل ويؤثره على الأدب العربي، لذا قال أحد الباحثين:" كان السياب محبًا للشعراء البريطانيين متأثرًا بهم، فهو يقول " وأكاد اعتبر نفسي متأثرًا بعض التأثر بكيتس من ناحية الاهتمام بالصور، بحيث يعطيك كل بيت صورة، وشكسبير من ناحية الاهتمام بالصور التراجيدية العنيفة، وأنا معجب بتوماس إليوت... ولا أنسى دانتي فأنا أفضله على كل شاعر "[١٥]

لم يكن السياب وحده الذي تعاطف مع أدباء الغرب، بل نجد صلاح عبدالصبور في قصيدة (بودلير) يتعاطف معه، حتى إنه أورد كلمات بلغة الشاعر الفرنسية، يقول:

" أنت لما عَشِقتَ الرحيلْ

لم تجد موطنًا

يا حبيبَ الفضاء الذي لم تجسهُ قدمْ

يا عشيقَ البحار، وخِدن القِمَمْ

يا أسيرَ الفؤاد الملول

وغريب المُنى

يا صديقي أنا

Hypocrite lecteur

Mon Semblable , Mon frére

[١٥] **لوي مكنيس، من أشعار السياب، بواسطة egy trends، آخر تحديث ٨ يناير ٢٠٢٠، تاريخ الاقتباس ٢٨-٨-٢٠٢١**

شاعر أنت والكون نثر

والنفاق ارتدى أجنحهْ

وتزيّا بزي ملاكٍ جميل "[١٦]

ويأخذنا معه في رحلة حول الشاعر الإسباني الشهير (فردريكو غارثيا لوركا) يصوره لنا بطلًا شعبيّا، يحنو على الفقراء، ويناضل من أجلهم، ورمزًا للتسامح، فبتصويره يجعل المتلقي يتعاطف مع هذا الشاعر الأوروبي، يقول في قصيدة (لوركا):

" لوركا...

نافورة ميدان

ظلّ ومقيل للأطفال الفقراء

لوركا أغنيات غجرية

لوركا شمس ذهبية

لوركا ليل صيفي منْعم

لوركا أنثى مُتْئم

لوركا سوسنة بيضاء

مسحت خديها في الماء "[١٧]

يبدو أن الشاعر الإسباني قد ترك في نفوس الشعراء العرب المعاصرين أثرًا كبيرًا، لذا نجدهم يتعاطفون معه، وتأثروا به تأثرًا كبيرًا، تأثروا بمأساته، وبموته

[١٦] **صلاح عبدالصبور، الأعمال الكاملة، ص ٢٣١: ٢٣٢**

[١٧] **المرجع السابق، نفسه، ص٢٢٨**

المفاجئ، وببساطته، وبسعة ثقافته، وبشعبيته التي ملكت القلوب؛ فهو رمزُ السماحة، والتضحية، فنجد السياب لا يختلف كثيرًا عن صلاح عبدالصبور فيتخذ من لوركا رمزًا للحرية، فناره شرًا على الأشرار، ورحمة وبردًا وسلامًا على البسطاء الفقراء، فيقول في قصيدته (غارسيا لوركا):

" في قلبه تنّور

النار فيه تُطعم الجياع

والماء من جحيمه يفور:

طوفانه يُطهّر الأرض من الشرور

مُقلتاه تُنسجان من لظى شراع

تُجمعان من مغازل المطر "[١٨]

ونازك التي بدت متعاطفة مع الموسيقيّ الروسيّ (تشايكوفسكي) في قولها:

" سأحبُّ الحياةَ من أجلِ ألحا،، نك يا بلبلي الحزين وأحيا

سأرى في النجوم من نور أحلا،، مك ظلًّا مخلّدًا أبديًّا "[١٩]

الخاتمة:

هكذا لعب الغرب على إضعاف مناعة العرب، وتمدير الجوانب المضيئة في حياتهم، حتى حملهم ما لا يطيقوه؛ من أعباء وهموم وحالة من اليأس والحزن الشديد، فكان من نتائج الاستعمار على الجوانب النفسية:

---

[١٨] **السياب، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، ص٢٠**

[١٩] **انظر. نازك الملائكة، الأعمال الكاملة، المجلد الأول، ص٦٢٨**

(١) أصبحت القصيدة العربية المعاصرة صورة صادقة لما كان يعانيه المجتمع العربي المعاصر في ظل سيطرة الغرب على مجريات الأمور.

(٢) القصيدة العربية المعاصرة ميدان تشكلت فيه صورة الإنسان العربي المعاصر نفسيًّا.

(٣) الانقياد نحو المستعمِر، وتقبل ما يمليه عليه من فكر استعماري.

(٤) ولدت الحياة الاستعمارية نظرة تشاؤمية للحياة لدى الشعراء العرب المعاصرين.

(٥) ضعف المناعة الفكرية، والتضامن مع الفكر الاستعماري.

(٦) الشعور بالحرمان، والخوف من المستقبل، والتردد، والنظرية السوداوية، والتشاؤم وليد الحياة الاستعمارية.

قائمة المصادر والمراجع:

١. آنيا لوميا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، ترجمة محمد عبدالغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٢. أدونيس، أغاني مهيار الدمشقي وقصائد أخرى، الأعمال الكاملة المجلد الأول، دار المدى،دمشق ١٩٩٦.

٣. سعاد درير، اللاحياة واللاموت، مجلة الوطن، ١٩ – ٥ – ٢٠١٨.

٤. السياب، الأعمال الكاملة، المجلد الأول، دار العودة بيروت، لبنان، ٢٠١٦.

٥. السياب، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني ، دار العودة بيروت، ٢٠١٦.

٦. صلاح عبدالصبور، الأعمال الكاملة، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢.

٧. لوي مكنيس، من أشعار السياب، بواسطة egy trends، آخر تحديث ٨ يناير ٢٠٢٠، تاريخ الاقتباس ٢٨-٨-٢٠٢١.

٨. ماري د. جونز، ولاري فلاكسمان، حروب العقل تاريخ سيطرت الحكومات والإعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وإدارة شئون الناس، ترجمة نور الدائم بابكر أحمد، شركة العبيكان للتعليم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ٢٠١٧.

٩. محمد العربي فلاح، أدونيس تحت المجهر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر ٢٠٠٨.

١٠. نازك الملائكة، الأعمال الكاملة، المجلد الأول، دار العودة بيروت ١٩٩٧.

١١. نازك الملائكة، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني، دار العودة بيروت ١٩٩٧.

١٢. نازك الملائكة، شظايا ورماد، دار العودة بيروت.

Colonial sediments, a study in the contemporary Arabic poem

abstract:

Western colonialism left traces that destroyed many aspects of the life of the Arab colonizers. Including what was in politics, society, the economy... and other aspects on which the building of civilizations is based, and we cannot lose sight of the psychological effects caused by colonialism, with which the Arab person was almost destroyed; Because of the robbery of freedoms, and forcing him to do things he does not want, so the contemporary Arab poem reads all this, as it serves as a history of this confused historical and literary era, and a monitoring of what the contemporary Arab poet was suffering; of tension in his feelings, and deep sadness; He generated a noticeable ambiguity and a dark view of life unprecedented in Arab poetry. Through our study of the contemporary Arab poem, we found many evidences that indicate conclusive evidence that these phenomena, including what is taken from Western writers, thinkers and poets, or as a result of the pressures of colonial life; Therefore, all these psychological phenomena have their origin in the West among Arab poets: whether by the pressures left on them, or by what Western thought issued to them with the aim of colonizing them; Therefore, the content of the contemporary Arabic poem was charged with these psychological effects, which in turn have become marked by the themes of poetry, and an almost obligatory feature for every contemporary poet. Sadness, hesitation, fear, projection, mystery, and melancholy look; These are all features that a contemporary Arab poet has not escaped.

Keywords: Colonialism, contemporary Arab poetry, Arab society.